عناية الإســـــلام بالعلوم التجريبية

د. عبدالرحمن المهدي أبومنجل*

كلية الآداب الأصـــابعة ، جامعة غـــريان ، ليبيا .

abomanjel.1987@gmail.com

تاريخ الارسال 2025/9/5م تاريخ القبول 2025/111/1م

Islam’s Attention to Experimental Sciences

Abdelrahman Al-Mahdi Abu Manja

Abstract:

This research addresses Islam's concern with experimental sciences since the beginning of the Prophet's mission, and shows the interest of Islamic scholars in these sciences. Humanity has never known a religion like Islam, which has taken an interest in various types of sciences and encouraged their pursuit. Looking at the texts of the Qur'an and Sunnah, one finds many examples that encourage concern for science.

There is no doubt that the best and highest of sciences is Islamic law, as mentioned in the Holy Qur'an. However, Islam did not neglect other useful empirical sciences. It referred to them and called for attention to be paid to them, concluding many verses with a call for reflection and contemplation. From the dawn of Islam to the present day, there has been no scientific fact or empirical result that contradicts a text from the Book of Allah or the Sunnah of the Messenger of Allah, peace be upon him. This research brings together the legal evidence and recounts the historical facts that prove Islam's relationship with these useful sciences. The first section discusses the concept of science (legal and experimental). The second section explains Islam's relationship with experimental sciences and provides legal evidence to prove this. The third section I discuss the presence of experimental sciences in the writings of Sharia scholars, review their opinions, and explain how they benefited from these sciences and how they employed them.

Keywords: science, scholars, Islam, Sharia, experimental.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخــــص :

تناول هذا البحث عناية الإسلام بالعلوم التجريبية منذ بداية بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأظهر اهتمام علماء الإسلام بهذه العلوم ، فلم تعرف البشرية دينا مثل الإسلام، اهتم بالعلوم على مختلف أنواعها، وحثّ على طلبها، والناظر في نصوص الكتاب والسنة، يقع بصره على كثير من الشواهد التي حثت على العناية بالعلم.

ولاريب أن أفضل العلوم وأعلاها فضلا ومنزلة هو علم الشريعة الإسلامية، كما ورد في القرآن الكريم، لكن الإسلام لم يهمل بقية العلوم التجريبية النافعة، فكان يشير إليها، ويدعو إلى العناية بها، وختم كثيرا من الآيات بالدعوة للتفكر والتدبر، ولم توجد من وقت بزوغ عصر الإسلام إلى يومنا هذا حقيقة علمية أو نتيجة تجريبية، تصادم نصا من كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء هذا البحث ليجمع الأدلة الشرعية، ويسرد الوقائع التاريخية، التي تثبت علاقة الإسلام بهذه العلوم النافعة، فجاء مبحثه الأول: متحدثا عن مفهوم العلوم (الشرعية، والتجريبية) ثم بينت في المبحث الثاني: علاقة الإسلام بالعلوم التجريبية، وسقت من الأدلة الشرعية ما يثبت ذلك وفي المبحث الثالث: تحدثت عن حضور العلوم التجريبية في مؤلفات علماء الشريعة، واستعرضت آراءهم، ووضحت كيفية الاستفادة منها، وطريقتهم في توظيفها.

الكلمات المفتاحيــــة: العلم، العلماء، الإسلام، الشرعي، التجريبي.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، وعلى آله وصحبه الهداة الأنجم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فلا يخفى على ذي لب أهمية العلوم في حياة الناس، ومدى ضرورتها في استمرار الحياة، ، والإسلام دعا الناس للعلم وحثهم على طلبه، ووازن في الحث عليه بين الدعوة إلى الاهتمام بالعلوم الشرعية التي تعد أفضل العلوم وأكملها، وأعلاها، وأسماها، وبين الحث على تعلم العلوم النافعة الأخرى التي تستقيم بها حياة الناس ومعاشهم.

ومما لا شك فيه أن لفظ العلم الذي اطلق في القرآن الكريم في عديد من الآيات، يراد به علم الشريعة، لكن لا يمنع دخول العلوم النافعة الأخرى تحت مسمى العلم، وإن كانت علوم الشريعة هي المقدمة، وقد جاءت مفاهيم بعض الآيات تحث على طلب العلوم النافعة التي بها يتعايش الناس في دنياهم، من ذلك قوله تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ سورة الأنفال، الآية:60.ففيها إشارة إلى إعداد ما يحصل به مدافعة الأعداء عن ديار الإسلام، ولو نظرنا في هذا الزمان، لوجدنا أن إعداد القوة يستلزم، العلم بالعلوم التجريبية التي تتيح للناس صنع السلاح وأجهزة الاتصال، والمخابرات ونحوه.

ولا يخفى على الناس عناية الإسلام بطلب هذه العلوم النافعة، وقد كان للإسلام السبق في التفنن في هذه العلوم، سبقا فاق الأمم السابقة، مما جعل الأوربيين ينهلون من هذه العلوم، ويختطفون الكتب التي اعتنت بالعلوم التجريبية، ليطبقوها في حياتهم، ويحرقون ما سواها من العلوم الشرعية.

وقد حاولت في بحثي هذا جمع ما يكفي من الأدلة الشرعية، ومقالات العلماء، لإثبات مكانة هذه العلوم وقدرها، وعناية الإسلام بها، وتتبعت الكتب التي عنيت بإبراز تلك الجهود، بمقدار يحصل به المقصود.

أهمية الدراسة:

- إبراز جهود علماء الشريعة في خدمة العلوم التجريبية ، وبيان فضلهم وتميز حضارتهم.
- اثبات عناية الإسلام بالعلوم التجريبية، والحث على التفنن فيها واتقانها.
- اظهار مسلك الاعتدال والانفتاح الذي سلكه الإسلام في الموازنة بين طلب العلوم الشرعية، وبين تعلم العلوم التجريبية النافعة.

إشكالية الدراسة: -

نحاول في هذا البحث ازالة بعض المفاهيم الخاطئة التي قد تتبادر في بعض أذهان المثقفين، من عدم عناية الإسلام بالعلوم النافعة الدنيوية، وغضه الطرف عن طلبها، ونسعى من خلال البحث لإثبات المسلك المعتدل المنفتح الذي نهجه الإسلام في طلب هذه العلوم، وإبعاد شبهة الانغلاق والجفاء الذي يحاول أعداؤه إلصاقها بالإسلام.

ومن خلال ذلك برزت عدة تساؤلات منها:

- ما المراد بالعلم في القرآن الكريم؟ وهل يختص به علم الشريعة وحده؟ وهل يمكن أن تدخل العلوم التجريبية النافعة تحت مسمى العلم؟ وما موقف علماء الشريعة من طلب العلوم التجريبية؟ وكيف استفاد علماء الشريعة من هذه العلوم؟

الدراسات السابقة:-

من خلال البحث والتقصي في شبكة التواصل الاجتماعي، وجدت بعض المقالات العامة التي تتحدث عن فضل العلوم التجريبية، وأهمية العناية بها، وهذه المقالات لم تتحدث عن علاقتها مباشرة بعلم الشريعة، وبعضها حاول ليِّ بعض النصوص التي تحدثت عن فضل علم الشريعة، وإنزال أحكامها على العلوم التجريببة، وأقرب دراسة يمكن أن تخدم البحث، كتاب بعنوان: (الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم التطبيقية) عواد حلف، وقاسم على سعد، الناشر جائزة دبي الدولية لحفظ القرآن، إلا أن هذه الدراسة اقتصرت على ذكر بعض الشخصيات التي جمعت بين العلمين فقط، وجاءت دراستي هذه لتتعمق فتذكر عناية الإسلام وعلمائه بالعلوم التجريبية، وبيان فضلها، وبيان شروط العمل بها، والأجر المترتب عليها.

المنهج المتبع:-

قامت هذه الدراسة على مناهج متنوعة، منها: المنهج التاريخي، حيث تتبعت المهتمين بعلوم التجريب منذ القدم ، كما وظفت المنهج التحليلي عند ذكر آراء المفسرين في مفاهيم بعض الآيات ولاستفادة من تفاسيرهم في اثبات فضل العلوم التجريبية.

خطة البحث:

المبحث الأول: العلم: مفهوما ومصطلحا، والمبحث الثاني: علاقة الإسلام بالعلوم التجريبية، والمبحث الثالث: حضور العلوم التجريبية في واقع الأمة الإسلامية

المبحث الأول: العلم مفهوم ومصطلح

أولا: العلم في اللغة: تعددت تعريفات اللغويين لمصطلح العلم وأغلبها يتفق على أنه بمعنى: نقيض الجهل، حيث عرفه الجرجاني بأنه: نقيض الجهل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما (الجرجاني، التعريفات، ص155).، قال أهل اللغة: سمي العلم علما من العلامة، وهي الإشارة، ومنه معالم الثوب، والأرض المعلم، والمعلم الأثر الذي يستدل به على الطريق، والعلم من المصادر التي تجمع (ابن دريد، جمهرة اللغة، 139/3). قال العسكري: العلم : " اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة " (العسكري، الفروق اللغوية، ص81، دار العلم والثقافة القاهرة)، والعلم عند أهل اللغة يطلق على معان متعددة ،قال

التهانوي: "وهو على معان متعددة عند أهل الفنون وخلاصتها: الإدراك مطلقا تصورا كان أم تصديقا"(كشاف اصطلاحات الفنون، 1055/4).

ثانيا ـ العلم بالمعنى الاصطلاحي الشرعــــي: إن للعلم في كتابات المسلمين أهمية كبرى مكتسبة من اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية به، وقد كانت أول الآيات التي نزلت وحيا على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – متضمنة ذكره، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ سورة العلق، الأية:1. وجاءت كلمة العلم في القرآن الكريم مطلقة دون تقييد، وإن كان الفقهاء يخصونها بالعلم الشرعي (ينظر الجامع لأحكام القرآن،343/14)، فهي أيضا تدل على فضل العلوم النافعة التي تهدف إلى خير الدنيا وعمارة الأرض، وصلاح البشرية والقيام بواجباتهم الدينية (العلم وبناء الأمم، السرجاني، مؤسسة إقرا القاهرة، 2007م).

وقد تعددت تعريفات علماء الشريعة لمصطلح العلم، وهي لا تخرج على: ما يجب للمكلف فعله من أمر دينه في العقائد والعبادات والمعاملات، يقول ابن رجب: " العلم النافع هو ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم في معاني القرآن الكريم، والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، الزهد والرقائق، والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد في تمييز صحيحه من سقيمه أولا، ثم الاجتهاد في الوقوف على معانيه ثانيا.(مختصر منهاج القاصدين، ص28).، وقال ابن حجر: " والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير، والحديث، والفقه" (فتح الباري، 141/1).

ثالثا ـ مفهوم العلم التجريبــــي: عرفه ابن خلدون بقوله : " وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية، إلى موضوعاتها، ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها، حتى يفقه نظره وبحثه على الصواب، من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر" (تاريخ ابن خلدون، 549/1) ، وعُرِّف بأنه:" منظومة ممنهجة من الأبحاث التي تنتج وتعيد انتاج وتطور، وتعمم وتدقق قضايا ذات مضمون معرفي ومحتوى اخباري، ومقدرة توصيفية، وقوة تفسيرية، وطاقة تنبؤية، منصبه على ظواهر العالم التجريبي " يمني طريف الخولي، مفهوم المنهج العلمي، ص13، وهذان التعريفان يدخلان فيهما سائر العلوم التجريبية من طب، وفلك، ورياضيات وأحياء، وكيمياء، وسائر العلوم التي تدخل تحت هذ العلم.

المبحث الثانـــي ــ علاقة الإسلام بالعلم التجريبي:-

إنّ المتأمل في النصوص الشرعية يجدها تحث صراحة على فضل العلوم، وفي مقدمتها علوم الشريعة الإسلامية، حيث أجمع العلماء والعقلاء، على أفضلية العلوم الشرعية عن غيرها، وقد جاءت آيات القرآن الكريم مبينة ذلك في عدد من المواضع من كتاب الله – عز وجل – قال - تعالى - : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ سورة آل عمران، الأية:18. ، قال القرطبي: "في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء".(تفسير القرطبي،41/4) ، وقال- تعالى- : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ سورة المجادلة، الآية:11، قال ابن عطية في تفسيره نقلا عن الشخير:" فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة وخير دينكم الورع" (المحرر الوجيز،279/5).

والنصوص القرآنية في فضل العلم الشرعي كثيرة، أما في السنة النبوية فقد جاءت أحاديث عديده تبين فضل العلم، ومكانة العلماء نكتفي بما جاء في الترمذي «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سهل اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» (صحيح أخرجه الترمذي في صحيحه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة، رقم الحديث ،2682، 48/5) قال عبد المحسن العباد في شرح الحديث " العابد هو الذي يصلي ويصوم، والعالم هو الذي اشتغل بتحصيل العلم الشرعي والعمل به؛ وإنما كان العالم أفضل من العابد لأن علم العالم له ولغيره، ونفعه متعد، وأما العابد فعبادته له وحده, فصلاته له وحده، وصيامه له وحده، ولكن علمه له ولغيره, ولهذا كان العالم أفضل من العابد". (شرح الأربعين النووية، 32/4). وهذه النصوص المذكورة وغيرها جاءت مبينة فضل العلم الشرعي وأهله.

وفي حديثي عن أهمية العلوم التجريبية، في حياة الناس، وعناية الإسلام بها، والدعوة إلى الاهتمام بها فإننا نجد نصوصا قرآنية يتضمن مفهومها الإشارة إلى أهمية

النظر في الكون والاستفادة من الآيات التي سخرها الله – عز وجل – للخلق في إعمار الأرض، ففي قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ سورة يونس، الآية:5. يحثنا المولى – عز وجل- على الإفادة من منازل القمر في معرفة حساب السنين، والإقرار بأن الله لم يخلقها عبثا، فهي دليل على وحدانيته – سبحانه وتعالى - قال ابن كثير:" وقدره أي القمر منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام". (تفسير القرآن العظيم، 217/4).

وبهذا يعلم أن الله- سبحانه وتعالى – خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة دلالة على كمال قدرته، وجعلها رحمة لعباده ليهتدوا بها في معاملاتهم وسائر حياتهم يقول السعدي:" وحاصل ذلك أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه، وما فيها من أنواع المنافع والمصالح -كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره ما يحصل- يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتنائه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة" (تيسير الكريم الرحمن،ص358).

ومن الأدلة على عناية الإسلام بالعلم التجريبي ما جاء في القرآن الكريم في سورة النحل قوله تعالى: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ سورة النحل، الآية:9، حيث خرجت في زماننا هذا اختراعات علمية أشارت إليها الآية كصناعة السيارات والطائرات والقطارات ونحوها مما سهل الله عز وجل – للإنسان معرفته وإدراك كيفيته ما يدل على عناية الإسلام بهذه العلوم التجريبية، إذ إنها سهلت كثيرا من الوسائل في نشر الدعوة في أقطار الأرض، وقد أشار القرآن إلى هذه المخترعات مجملة دون الاتيان على تفاصيلها وقت نزوله وذلك مراعاة لحال المخاطبين، وأجمل بقوله: ﴿ **وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ سورة النحل، الآية:8. للإشارة إلى خلقها مستقبلا وتعليم صناعتها البشر يقول السعدي في تفسير هذه الآية :" مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم

يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلا جامعا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون" (تيسير الكريم الرحمن، ص436).

والقرآن الكريم دعا إلى التفكر بأساليب متعددة في مخلوقات -الله تعالى –السموات والأرض، وفي آيات الله المبهرة في خلق الليل والنهار، وتصريف الرياح والأنهار والبحار، وما في ذلك من روعة نظام الخالق، ودقة الإحكام، وأن الله لم يخلقها عبثا ولا باطلا، ودعا العقل للتفكر في الشمس والقمر، والنجوم، والكواكب، والمتأمل في كثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن النبات والزرع والحيوان، وخلق الأفلاك والجمادات، والإنسان، يجدها تختتم بقوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أو ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ما يدل على مدى اهتمام القرآن بسائر العلوم النافعة في الدنيا والآخرة وفي مقدمتها العلوم الشرعية.

ولعل من المناسب في هذا السياق ذكر بعض من هذه الآيات التي جاءت مختتمة بالتفكر والتعقل والتدبر: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ سورة البقرة، الآية:164. ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾ سورة الأعراف، الآية: 185.

﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة الزمر، الآية: 42. ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ **سورة الزمر، الآية:21.** ﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة النحل، الآية: 11.

والمتأمل في نصوص الآيات القرآنية التي يفهم منها الدعوة إلى أهمية معرفة العلوم الدنيوية التي يحتاجها العباد، يجد أنها سيقت في معرض الحث على الإيمان بربوبيته سبحانه وألوهيته، وهو المقصد الأسمى الذي دعا إليه القرآن، وهو هداية الخلق، والإيمان بالخالق، لذلك جاء في القرآن الكريم ذم الانصراف عن علوم الآخرة، بعلوم الدنيا وحده، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ سورة الروم، الآية:7، قال ابن جرير في معنى الآية:" ظاهرا من حياتهم

الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه"(جامع البيان، 75/20) ؛ إذ المقصود من لفت القرآن النظر إلى أهمية هذه العلوم هو التوصل بها إلى ما يحصل به منفعة العباد في الدنيا والآخرة، أما قصد علوم الدنيا والانشغال بها عن الآخرة، فهو مذموم مستقبح.

والحاصل أن العلوم التجريبية التي تنفع الناس في دنياهم، ولا تصرفهم عن آخرتهم فهي محل اهتمام الإسلام، وإليها أشارت مفاهيم بعض آيات القرآن، وحثت على العناية بها، وإن كان صرف الهمم نحو علوم الشريعة هو المقصود الأعلى.

وكذلك نصوص السنة النبوية، فقد جاء منها ما يحث على أهمية العلوم التجريبية، في حياة الناس، وقد حث النبي –**صلى الله عليه وسلم** – أصحابه على أهمية ذلك، فقد أمر زيدا – رضي الله عنه – أن يتعلم لغة اليهود ، جاء في صحيح البخاري : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ «أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ اليَهُودِ» حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ، إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ" (صحيح البخاري، كتاب، باب ترجمة الحكام، رقم الحديث،9، 76/7195)، فلم يمنع الإسلام تعلم اللغات الأخرى، عند الحاجة إليها، خصوصا، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر الدعوة في العالم.

وإذا كان في هذا العصر من يستخدم علم الإحصاء في معالجة جوانب الحياة المختلفة، فإن هذا العلم قد نجده حاضرا في بعض أوامر النبي –**صلى الله عليه وسلم** – ففي صحيح البخاري قال – **صلى الله عليه وسلم** - « اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلاَمِ مِنَ النَّاسِ »، فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ، فَقُلْنَا: نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ » (صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب كتابة الإمام الناس، رقم الحديث3060، 72/4).

ومقصوده – **صلى الله عليه وسلم** – معرفة مقدار القوة البشرية التي يستطيع بها مواجهة أعداء الدين، لذلك كان الإحصاء خاصا بالرجال القادرين على حمل السلاح.
قال ابن حجر:" وفي الحديث مشروعية كتابة دواوين الجيوش وقد يتعين ذلك عند الاحتياج إلى تمييز من يصلح للمقاتلة بمن لا يصلح" (فتح الباري، 179/6).

وهذا الإحصاء الذي تم بإمرته – **صلى الله عليه وسلم** – يبين لنا إلى حد ما ترحيب الإسلام بتوظيف الوسائل العلمية في مناحي حياة الناس المحتفلة.

وفي جانب التخطيط نجده – **صلى الله عليه وسلم** – يعمل به في وضع الخطط العسكرية للجيش، فقد أمر في غزوة أحد بوضع الرماة على الجبل قصد رد المباغتين من جيش الكفار، وأخذ بفكرة سلمان الفارسي – رضي الله عنه – في حفر الخندق

على المدينـة، وخطـط للهجـرة، يقـول الطبـري:" والحـق أن مـن وثـق بـالله وأيقـن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر - **صلى الله عليه وسلم** - بين درعين، ولبس علـى رأسـه المغفـر، وأقعـد الرمـاة على فم الشعب وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء وهو كـان أحـق الخلـق أن يحصـل لـه ذلـك" (نقلـه الشـوكاني، نيـل الأوطـار، 232/8).

ونجد أن الرسول – **صلى الله عليه وسلم** – سبق إلى إقرار مبدأ التجربة في العلوم الدنيوية، كعلوم الطب، والصناعة، والزراعة، وأوضح مثالا على وضـوح اعتمـاده – - على التجربة، قضية تأبير النخل حينما رأى الأنصار يفعلون ذلك فقال لهم : أن لا ضرورة له، فلما تركوه وعلم بذلك – **صلى الله عليه وسلم** – بين لهم أن كلمته لم تكن من قبيل الوحي، بل هي مشاورة في أمور الدنيا، وقال لهم: " أنتم أعلم بأمور دنياكم". ففي المسند عن طلحة – رضي الله عنه - عن أبيـه قـالَ: مَـرَرْتُ مَـعَ النَّبِـيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَخْلِ الْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَقْوَامًا فِي رُءُوسِ النَّخْلِ يُلَقِّحُونَ النَّخْـلَ، فَقَـالَ: «مَـا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: يَأْخُذُونَ مِنَ الذَّكَرِ فَيَجْعَلُونَهُ فِي الْأُنْثَى يُلَقِّحُونَ بِهِ. فَقَالَ: «مَا أَظُنُّ ذَلِكَ يُغْنِي شَيْئًا» فَبَلَغَهُمْ، فَتَرَكُوهُ وَنَزَلُوا عَنْهَـا، فَلَمْ تَحْمِـلْ تِلْـكَ السَّـنَةَ شَـيْئًا، فَبَلَـغَ ذَلِـكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ ظَـنٌّ ظَنَنْتُـهُ، إِنْ كَـانَ يُغْنِـي شَـيْئًا فَاصْـنَعُوا، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَالظَّنُّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ قَـالَ اللَّهُ عَـزَّ وَجَـلَّ فَلَـنِ أَكْذِبَ عَلَـى اللَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ» (مسـند أحمـد، رقـم الحـديث 1399، 18/3) ، وجـاء فـي صحيح مسلم من رواية رافع بن خديج أنه قال لهم «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَـرٌ» (صـحيح مسـلم، كتـاب الفضـائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، رقم الحديث140، 1835/4).

وهكذا يتبين أن الرسـول – **صـلى الله عليـه وسـلم** – يهـتم بمشـاورة أهـل المعرفـة بالعلوم الدنيوية، من أصحابه.

ففي جانب أمور الحرب، يقف عند رأي الخبراء العسكرين، وفي جانب التعاملات الاقتصادية، يشاور أهل الخبرة في المجال، وفي الصناعات يحترم آراء أهل الصنعة، إقرارا منه – **صلى الله عليه وسلم** – بمبدأ الشورى فيما لا يختص به الوحي.

وفي غزوة بدر نزل الرسول – صلى اله عليه وسلم – منزلا أدنى مـاء بـدر، فجـاء الخباب ابن المنذر – رضي الله عنه – يقترح عليه اقتراحا تقتضـيه الحـرب والمكيـدة،

فعمل به – **صلى الله عليه وسلم** – ورحب بالفكرة، ووضعه قيد التنفيذ(سيرة ابن هشام،272/2).

والخباب عندما اقترح الخطة، أراد أن يستوضح من الرسول – □– عن اختياره المكان إن كان وحيا فيلزم بذلك السمع والطاعة، أم هو ما تقتضيه تدابير الحرب، فكان الرد منه **صلى الله عليه وسلم** - أن ذلك من قبيل فنون الحرب، ونزل عند مشورته مقتنعا بما قدمه.

وقصة خباب توضح مدى التزام الصحابة – رضي الله عنهم- بأوامر الله – عز وجل – فلم يقدموا أراءهم في أي عمل إلا إذا كان محل تشاور ونقاش، ولم يكن وحيا من الله – سبحانه وتعالى -، وفي غزوة الخندق استشار الصحابة - رضي الله عنهم - في وضع خطة محكمة ترد كيد المشركين، فكان لسلمان الفارسي خطة اقتبسها من أساليب قتال الفرس، الذين كانوا يطبقونها لردع أعدائهم، فلما أقبل فرسان المشركين، قالوا: "والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها" (سيرة ابن هشام، 272/2) ، وأما في مجال علوم الطب نجده – **صلى الله عليه وسلم** – يتحرى الأحذق ويستشيره، ويطبب أصحابه، ويأخذ بأسباب الشفاء فقد روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم : «أَنَّ رَجُلًا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابَهُ جُرْحٌ فَاحْتَقَنَ الْجُرْحُ الدَّمَ، وَأَنَّ الرَّجُلَ دَعَا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي أَنْمَارَ، فَنَظَرَا إِلَيْهِ، فَزَعَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمَا: " أَيُّكُمَا أَطَبُّ "؟ فَقَالَ: أَوَ فِي الطِّبِّ خَيْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: " أَنْزَلَ الدَّوَاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ» (الموطأ، كتاب العين، باب تعالج المريض، رقم الحديث 3474، 5/ 1378).

قال ابن القيم:" ففي هذا الحديث أنه ينبغي الاستعانة في كل علم وصناعة بأحذق من فيها فالأحذق، فإنه إلى الإصابة أقرب"(زاد المعاد، 121/4).

وعناية الإسلام بهذه العلوم لا تعني إفساح المجال للعقل لتقديمه على نصوص الكتاب والسنة، رغم عدم تعارض هذه العلوم مع النصوص الشرعية، فربما يكون تصور نتائج بعض النظريات التي تبنى على التجربة تصورا خاطئا، لذلك استوضح الخباب – رضي الله عنه – من النبي – **صلى الله عليه وسلم** - في اختياره مكان غزوة بدر، إن كان وحيا أم مشورة، حتى يتأكد من النتائج العلمية التي تصورها في ذهنه

وشاهد هذا قصة خليل الله إبراهيم - عليه السلام – حينما وضع زوجته وابنه بواد غير ذي زرع بمكة، فلو قدم نظرية التجربة على الوحي، لما تركهما في هذا المكان إذ التجربة تبين أن الأرض قاحلة، وليس بها ماء ولا حياة، ونتائجها توصل إلى عدم

صلاحية العيش بها، لكنه – عليه السلام – سلم لأمر الله – عز وجل – مدبر الكون، وكان السؤال من زوجته هاجر – عليه السلام – أهو وحي أم من عندك؟ فعلمت منه أنه الوحي، فسلمت أمرها لله، وقالت: " رضيت بالله" فكان أن تفجرت بئر زمزم، وتحققت دعوة الخليل إبراهيم – عليه السلام – بنزول أناس لم يعهدوا وجود الماء في هذه المنطقة.(البداية والنهاية، 154/1 وما بعدها).

وخلاصة القول: اهتمام الإسلام وعنايته بالعلوم التجريبية التي تنفع الناس في دنياهم، وعدم معارضته لها، شرط عدم تقديم نتائجها على النصوص الشرعية، كما أنه رتب الأجر لمتعلمها إن قصد بذلك رضا الله - عز وجل – ونفع الناس.

المبحث الثالث ـ حضور العلوم التجريبية في واقع الأمة الإسلامية:ـ

تصنف العلوم إلى اصناف مختلفة، منطلقة من اعتبارات الأهداف والمناهج، فمن جهة الهدف يقسم إلى: علوم أساسية: كالفيزياء، والكيمياء، والحساب، وعلوم تطبيقية: كالطب، والهندسة. وأما من جهة المناهج، يقسم إلى قسمين: علوم تجريدية: كالرياضيات، والجبر، وتجريبية: كالكيمياء والفيزياء(ينظر الجامعون بين العلوم الشرعية والتجريبية، ص16).

وقد لا قت تلك العلوم التجريبية نصيبا وافرا ، واهتماما بالغا من قبل علماء الشريعة، ابتداء من عصر الصحابة – رضي الله عنهم – إلى يومنا هذا

أولا ـ في عصر الصحابة – رضي الله عنهم -: برع كثير من الصحابة – رضي الله عنهم - في مجالات العلوم الأخرى إضافة لما يحملون في أذهانهم من علم الشريعة، فزيد ابن حارثة – رضي الله عنه- كان عالما بلغة اليهود، يترجم الكتابات التي تأتي منهم لرسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – ((صحيح البخاري، كتاب، باب ترجمة الحكام، رقم الحديث،9، 76/7195)).

وعبد الله بن عامر – رضي الله عنه – كان إلى جانب علمه بعلوم الشريعة، متفننا في علم المساقاة والعمران، فلا يعالج أرضا إلا وظهر بها الماء، وهو الذي شق نهر البصرة، وعمل السقايات بعرفة، وكان بارعا متقنا في هذا العلم، (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، 3/ 931- 933).

والصحابي الجليل رافع بن خديج رضي الله عنه – كان عالما يروي أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم - وهو أيضا عالما بفن المساقاة والعمران، (أسد الغابة، 38/2-39).

وعلى الرغم من أن الصحابة – رضي الله عنهم – كان جل اهتمامهم نحو علوم الشريعة باعتبارها المقصد الأسمى في حياتهم، فإنهم لم يهملوا هذه العلوم، التي فيها

صلاح دنياهم، اقتداء بقوله- صلى الله عليه وسلم – في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**" (صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل، رقم الحديث 4، 2087/2720).

وهنا يتبين أن الصحابة – رضي الله عنهم- استفادوا من هذه العلوم في مجال حياتهم، لكنهم وقفوا منها موقف التوسط، فلم يسهبوا في طلبها بقدر يشغلهم عن أمور آخرتهم، ولم يتركوا تعلمها بقدر ما تذهب به شؤون دنياهم، بل بادر بعضهم إلا التفنن بها مضافة إلى علوم الشريعة، كل حسب قدرته، وتخصصه.

ثانيا ـ في عصر التابعـــين: جاء عصر التابعين، فنالت العلوم التجريبية حظها من العلم، فإلى جانب اهتمامهم بعلوم الشريعة التي تعتبر أكبر العلوم اهتماما في وقتهم، إلا أن بعضًا من رجالات التابعين لم يغفلوا عن معرفة العلوم الأخـــرى، في مقدمتهم خالد بن يزيد الحموي، الذي كان بارعا بعلوم العربية والشرعية، إلى جانب معرفته بعلم الطب، حتى قيل : إنه أعلم قريش في زمانه (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 129/8).، ومن كبار علماء التابعين الذين جمعوا بين علوم الشريعة والعلوم الأخرى: الشعبي، فكان بارعا بعلم الحساب أخذه عن الحارث الأعور (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 143/14).، وابن سيرين – أيضا- كان عالما بعلوم الشريعة مع تفننه في علم الحساب (ابن حبان، الثقات، 5/ 348 ومابعدها). وهكذا تميز عصر التابعين، بما امتاز به عصر الصحابة – رضي الله عنهم – من الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الأخرى، بقدر الحاجة إلى ذلك، دون إسهابا في طلب علوم الدنيا، يُشغَل عن الآخرة.

ثالثا ـ ما بعد القـــرون المفضلة: وهذه المرحلة اشتهر بها كثير من العلماء بالجمع بين العلوم الشرعية، والتجريبية، وعدد هؤلاء العلماء لا يمكن حصرهم، لكثرة المهتمين بهذه العلوم، كالفراء والمأمون، والسرخسي، والرازي، والتنوخي، والبستي، وأبو الفرج الأصفهاني، الوراق الإفريقي، وابن حزم، وابن رشد، وابن القيم، والمازري، وهؤلاء وغيرهم اشتهروا بعلوم متنوعة منهم من برع في الطب، ومنهم في الحساب والفلك، ومنهم من عرف بالصناعة، إلى جانب اهتمامهم بعلوم الشريعة(ينظر: كتب التراجم، سير أعلام النبلاء، ووفيات الأعيان، وغيرهم بحسب الطبقة والتخصص، وينظر عواد خلف، الجامعون بين العلوم الشرعية، والتجريبية، ص19 ومابعدها).

رابعا ـ في عصرنا الحاضر: في هذا الزمان انفصلت العلوم التجريبية عن العلوم الشرعية، فصار كل تخصص له رجاله ومؤسساته المهتمة به، وأنشئت الجامعات والمعاهد، وانعقدت الندوات والمؤتمرات، لكن العلاقة بين هذه العلوم، وعلوم الشريعة، تظل قائمة لا غنى عنها، من جهة التواصل بين المختصين، للوصول إلى معرفة نتائج بعض المسائل الشرعية، وفي المقابل لمعرفة أحكام الشريعة في بعض التجارب العلمية، وهذا نجده جليا واضحا في عمل المجامع الفقهية، ومؤسسات الإفتاء، حيث كثيرا ما يستدعى أهل الفنون الأخرى كالطب ونحوه للاستيضاح من أجل الفصل في نازلة شرعية ما، وصولا لحكمها الشرعي الصحيح، كأطفال الأنابيب مثلا، وزراعة الأعضاء، واستعمال بعض التقنيات في علوم الفلك، واستخدام بعض التقنيات الحديثة في أمور الدين، فهذا يستدعي مفتين شرعيين لبيان شرعية الحكم، وخبراء في العلم التجريبي لإيضاح كيفية حصول المسألة.

المبحث الرابع ـ العلوم التجريبية في ميزان الشـــرع:

من المعلوم أن العلوم التجريبية قد ازدهرت في ظل الإسلام لم يسبق له مثيل، ذلك لأن الإسلام، قد اهتم بهذه العلوم اهتماما يتوافق مع ثوابته التي جاء بها، وإذا نظرنا في حال السلف، نجدهم يجمعون بين هذه العلوم، وعلوم الشريعة، مما أكسب الأمة الإسلامية السبق في مجالات العلوم التجريبية، فكانت حضارة الأندلس التي برع فيها المسلمون في فنون العلم: الشرعي، والتجريبي، ولاشك أن العلم يمكن استخدامه في الخير والشر، والدين هو الذي يحدد كيفية استخدامه.

ولا يخفى على أحد، ما في تعلم هذه العلوم من أهمية عظيمة، تساهم في الرفع من مكانة الفرد والمجتمع، وقد كثر كلام أهل العلم في تعلم العلوم النافعة على اختلافها، يقول الشافعي في بيان فضل علم الطب:" لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من علم الطب" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 57/10). لذلك أولى الإسلام العلوم التجريبية عناية كبيرة، حيث تفرغ كثير من علمائه لتعلم الطب والجراحة، والحساب، والفلك، وغيرها من العلوم الأخرى، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش عصر الظلام، في العصور الوسطى، وحمل علماء الإسلام راية العلم، وأمسكوا بزمام الحضارة، ما شهد به الأعداء قبل الأصحاب.

وهو ما يفيد أن الإسلام قد هيأ المناخ النفسي والعقلي، الذي تزدهر فيه هذه العلوم، بحيث رسخ أصوله، ومد فروعه، وأصبح يؤتي أكله، فعلماء الإسلام استفادوا من

علوم غيرهم استفادة فاقت من سبقهم حيث كان لهم السبق في تهذيبها وتنقيحها، لتلائم بيئتهم وعقولهم، قال ابن تيمية :" فما من خير يوجد عند غير المسلمين من أهل الملل: إلا عند المسلمين ما هو أكمل منه وعند أهل الملل ما لا يوجد عند غيرهم وذلك أن العلوم والأعمال نوعان: نوع يحصل بالعقل: كعلم الحساب والطب وكالصناعة من الحياكة والخياطة والتجارة ونحو ذلك. فهذه الأمور عند أهل الملل كما هي عند غيرهم؛ بل هم فيها أكمل فإن علوم المتفلسفة - من علوم المنطق والطبيعة والهيئة وغير ذلك - من متفلسفة الهند واليونان وعلوم فارس والروم؛ لما صارت إلى المسلمين: هذبوها ونقحوها؛ لكمال عقولهم وحسن ألسنتهم" (مجموع الفتاوى، 210/4).

وابن تيمية يصور لنا حال المسلمين في زمانه، ويصف لنا نبوغ رجاله في العلوم، سيما علم الطب، الذي برع فيه المسلمون براعة فاقت اليهود والنصارى، فيقول:" فأما العلوم: فهم أحذق - في جميع العلوم - من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست بنبوية، ولا أخروية، كعلم الطب - مثلا - والحساب، ونحو ذلك، هم أحذق فيها من الأمتين- اليهود والنصارى -، ومصنفاتهم فيها أكمل من مصنفات الأمتين، بل أحسن علما وبيانا لها من الأولين الذين كانت هي غاية علمهم" (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 22/6).

ومما يؤكد عناية علماء الإسلام بالعلوم الطبية، أن الشافعي كان يتحسر على ما ضيعه المسلمون من علم الطب فيقول:" ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى "سير أعلام النبلاء 258/8).

ولعل في كلام الشافعي ما يؤكد اقتباس اليهود والنصارى تلك العلوم من المسلمين وفي مقدمتها علم الطب.

وفي مجال علم الفلك والحساب، فإن العلماء قد اهتموا به اهتماما بالغا، ووقفوا منه موقف التوسط، فعملوا بالصحيح منه، الذي أقره الشارع الحكيم، كمعرفة مواقع النجوم وسيرها وتغيراتها، والاهتداء بها في البر والبحر، ومتابعة الاقترانات بين الكواكب والقمر، مما يزيد في الإيمان، ويدرك بها عظمة الخالق، قال الخطابي: " فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه. وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، إلاّ أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الالة التي يستغنى الناظر فيها عن مراعاة مدته ومرا صدته"(معالم السنن، 230/4).

وأما المعاصرون من العلماء، فإن فتاواهم لا تحصى في بيان أهمية هذه العلوم، ومدى حاجة الناس لها، فقد بين محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، فضل هذا العلم ومكانته، فقال:" فإن حاجة الناس إلى معرفة حساب الأوقات لعباداتهم ومعاملاتهم وتواريخهم لا تخفى على أحد، منهم في جملتها، وعند خواص العلماء من ذلك ما ليس عند غيرهم، وعلماء الفلك والتقاويم متفقون في هذا العصر" (529/7).

وتحدّث ابن باديس عن أهمية علم الحساب في ضبط الوقت، وعده من العلوم النافعة التي توصل إلى مقاصد سامية فقال:" ويذكر تعالى علم عدد السنين، المتضمن لعدد الشهور والأيام والساعات تنبيهاً لخلقه على ضبط الأعمال بالأوقات، فإن نظام الأعمال واطرادها وخفتها والنشاط فيها وقرب إنتاجها إنما هو بهذا الضبط لها على دقائق الزمان، كما ذكر- تعالى- جنس الحساب تنبيهاً على لزومه لهذا الضبط، وجميع شؤون الحياة من علم وعمل؛ فكل العلوم الموصلة إلى هذا العد وهذا الحساب هي وسائل لها حكم مقصدها في الفضل والنفع والترغيب" (تفسير ابن باديس، ص48).

وسئل ابن باز عن التزهيد في تعلم علوم الدنيا، (الجغرافيا، والجبر، والكيماء، والأحياء، والحساب)، فبين أن هذا مفهوم خاطئ وغلط، مستدلا بقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ سورة الأنفال، الآية:60. مع أنه أقرَّ بأفضلية علم الشريعة عليها (فتاوى ابن باز، 12/23)، ثم خلص إلى القول بأن هذه العلوم من فروض الكفايات إذا عملها البعض سقطت عن الآخرين، وإذا تركوها جميعا كان لزاما على ولي الأمر تكليف من يتعين عليها ذلك فقال :"وقد تكون فرض كفاية في بعض الأحيان، إذا دعت الحاجة إليها، ووجب على ولي الأمر أن يلزم بذلك من هو أهل لها، فهي أمور لها شأنها، ولها أحوالها الداعية إليها، وتختلف بحسب النية، وبحسب الحاجة"(فتاوى ابن باز، 12/23).

وأختم هذا البحث بكلام نفيس جاء في خطاب اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، متضمنا العناية بالعلوم التجريبية في شتى المجالات العلمية، من أجل مصلحة المسلمين، والاستغناء عن طلبها من الكفار :" كما أن عليهم أن يدرسوا أيضا سنن الله الكونية في السموات والأرض، ليعلموا ما أودع الله فيها من أسرار، وليستنبطوا منها ما شاء الله ما هم في حاجة إليه: من علوم الطب والزراعة والصناعة والفيزياء وطبقات الأرض، وغيرها من العلوم الكونية؛ ليستفيدوا منها في دنياهم، ويستعينوا بها في شؤون دينهم، ويستغنوا بها عمن سواهم من الكافرين؛ وبذلك

يجمعون بين القوة والعزة في الدنيا، والنجاة والسعادة في الآخرة، ويصلحون للخلافة في الأرض، وعمارتها دينا ودنيا". (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، 76/12).

وخلاصة القول: عناية علماء الإسلام بالعلوم التجريبية، والاهتمام بها، وحث الناس على تعلمها، مع ضرورة التقيد بالضوابط الشرعية في طلبها، وقصد التقرب إلى الله – عز وجل - بمعرفتها.

الخاتمـــــة:

فقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، منها:

-أفضلية علوم الشرعية على العلوم التجريبية، وهذا محل اتفاق بين العلماء والعقلاء، والبحاث، والمهتمين، من أمة الإسلام.

- اهتمام الإسلام بهذه العلوم اهتماما بالغا منذ بزوغ عصره إلى يومنا هذا.

- أسبقية علماء الإسلام في مجالات العلوم التجريبية عن غيرهم من الأمم السابقة.

- لا يمكن وجود تعارض بين الشريعة والحقائق العلمية الصحيحة.

- استفاد علماء الإسلام من علوم الأمم السابقة، وهذبوها ونقحوها وأقاموا عليها التجارب مما أكسبهم الثقة في العلم والتفنن للمتعلم.

- إذا زعم أن هناك حقيقة علمية تخالف الشريعة، فهي محل شك ونصوص الشريعة مقدمة عليها.

التوصيات:-

- نوصي المهتمين والبحاث والأكاديميين في شتى العلوم الشرعية والتجريبية الجمع بينها بأبحاث علمية كي يتحقق الازدهار المنشود، وتلائم نتائج أبحاثهم ضوابط الإسلام.

- نوصي بإقامة صروح علمية تجمع بين علوم الشريعة والعلوم الأخرى حتى ينشأ جيل من الباحثين له دراية بالعلمين (الشرعي، والتجريبي).

- نوصي بإقامة الندوات والمؤتمرات التي توائم بين علوم الشريعة والعلوم الأخرى، ودعوة الخبرات في العلمين(الشرعي، والتجريبي)، للخروج بنتائج أكثر ثقة.

وصلى الله وسلم - على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

المصادر والمراجع"

- البداية والنهاية، ط1، 1418هـ - 1997م، دار هجر.
- ابن عطية، لمحرر الوجيز، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- تفسير ابن باديس، دط، دار الكتب العلمية بيروت.
- عواد الخلف، قاسم سعد، الجامعون بين العلوم الشرعية والتجريبية، ط1، 1436هـ - 2015م، المجلس الوطني للإعلام الإمارات.
- ابن القيم، زاد المعاد، ط2، 1407هـ - 1987م، دار الريان القاهرة.
- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط2، 1419هـ - 1999م، دار العاصمة السعودية.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط1، 1408هـ - 1987م، دار الكتب العلمية بيروت.
- ابن حبان، الثقات، 1408هـ - 1988م، مؤسسة الرسالة بيروت.
- ابن حجر، فتح الباري،1379 هـ ، دار المعرفة بيروت.
- ابن خلدون، التاريخ ، ط2، 1408هـ - 1988م، دار الفكر بيروت.
- ابن دريد، جمهرة اللغة، ط1، 1987 م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، 1398هـ -1978م، مكتبة دار البيان دمشق.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، 1419هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- أحمد، المسند ، ط1، 1416هـ - 1995م، دار الحديث القاهرة.
- الترمذي ، السنن، 1998ام، دار الغرب الإسلامي.
- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط1، 1996م، مكتبة الناشرون بيروت لبنان.
- الجرجاني ، التعريفات، ط1، 1403هـ - 1983م، دار الكتب العلمية بيروت.
- الخطابي، معالم السنن، ط1، 1351هـ - 1932م، المطبعة العلمية حلب بيروت.
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط3، 1403هـ -1985م، مؤسسة الرسالة
- السعدي، يسير الكريم الرحمن،ط1، 1420هـ - 2000م، مؤسسة الرسالة.
- الشوكاني، نيل الأوطار، ط1، 1413هـ - 1993م، دار الحديث مصر.
- الطبري، جامع البيان، ط1، 1420هـ - 2000م، مؤسسة الرسالة.
- العسكري، الفروق اللغوية، دط، دار العلم والثقافة القاهرة مصر .
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، 1384هـ - 1964م، دار الكتب المصرية.
- سيرة ابن هشام، ط2، 1375هـ - 1955، مكتبة الحلبي مصر.
- صحيح مسلم، دط، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- عبدالبر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، 1412هـ - 1992م، دار الجيل بيروت.
- عبدالمحسن العباد، شرح الأربعين النووية، ط1، 1435ه، مكتبة المنهاج السعودية.
- فتاوى ابن باز، دط، الشبكة الإلكترونية.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، دط، الإدارة العامة للطبع الرياض السعودية.

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ط2، 1422هـ -1922م، دار الغرب الإسلامي بيروت.

مالك بن أنس، الموطأ، ط1، 1425هـ - 2004م، مؤسسة زايد الإمارات.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

يمني طريف الخولي، مفهوم المنهج العلمي.دط، مؤسسة هنداوي.